

و هكذا تجيء السورة الرابعة من نصف القرآن الأول مذكرة بجانب المبدأ وتشرع ما تقتضيه السعادة في الحياة الأولى. وتجيء السورة الرابعة من نصفه الثاني مذكرة بجانب المعاد، وما أعد فيه لمن أحسن في الأولى ولمن أساء، وبهذا وذاك يتم للناس تمثل سبيل الحياتين ويعرفون سبيل السعادة في الدارين.

يجدر بنا بعد هذا أن نجل ما عرضت له سورة النساء من أحكام وارشاد في نواحي الجماعة فنقول:

ان احتفاظ الأمم بكيانها يرتبط بأمرين عظيمين: الاستقرار الداخلي، والاستقرار الخارجي. فالاستقرار الداخلي: أساسه صلاح الأسرة، وصلاح المال في ظل تشريع قوى عادل، مبنى على مراعاة مقتضيات الطبيعة الانسانية، مجرد من تحكيم الأهواء والشهوات، وذلك إنَّما يكون إذا كان صادراً عن حكيم خبير بنزعات النفوس واتجاهاتها، تمتلئ النفس بعظمته وقوته، وغيرته على تشريعه ومحارمه.

و الاستقرار الخارجي: أساسه الحفظ الأمة بشخصيتها، والاستعداد المقاومة الشر الذي يطرأ عليها، والعدو الذي يطمع فيها.

و سورة النساء تكفلت بوضع أسس الأحكام التي تصلح بها هذه النواحي، ونستطيع أن نرد ما عرضت له السورة إلى الموضوعات الآتية:

الأسرة، المال، أساس الجماعة الإسلامية، مصادر التشريع، الوان التمرد على التشريع، أسس الاستقرار الخارجي، مكافحة الآراء والشبه الضارة، تنويع هذا كله بالدعوة إلى الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به هداية ونور.

ففي نظام الأسرة أعلنت السورة أولاً أن المرأة أحد العنصرين اللذين تكاثر منهما الإنسان، وجعلت ذلك نعمة توجب على الناس تقوى الله ومراقبته "يأيتها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساءً واتقوا الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيباً".